مشهد

كرّر المؤتمر الذي عقد في القاهرة قبل أيام، المقولات التي درج عليها التيار «التنويري» المُنفصم عن واقعه خلال السنوات الماضية، عبر تثبيت قراءات مسيّسة للتراث الإسلامي تستهدف خلق انقسام حادّ عند المتلقين لها. انقسام يلهي عن القضايا الفعلية

القاهرة ـ العربي الجديد

«تكوين الفكر العربي» أم تغميس في صحن السُّلطة؟
كرنفال «تنويري» على حساب طه حسين

شهد «المتحف المصري الكبير» في القاهرة، يوم السبت الماضي، أشغال المؤتمر السنوي الأول لـ«مؤسسة تكوين الفكر العربي»، تحت عنوان «خمسون عاماً على رحيل طه حسين: أين نحن من التجديد اليوم؟». لكنّ المؤتمر الذي أريد له أن يكون تكريماً مُنجَز عميد الأدب العربي (1889 - 1973) سرعان ما كشف عن إسفاف وتخبُّط على مستوى التصريحات، حيث ضجّت وسائل التواصل الاجتماعي على المستويين المصري والعربي، بسيل هائل من التعليقات حول ما دار بين مُحْتَوي مجلس أمناء «مؤسسة تكوين» المصري يوسف زيدان والسوري فراس السوّاح، حيث سال الأول الثاني إن كان يرى نفسه أهمّ من طه حسين؟ فما كان من السوّاح إلّا أن أجابه: «أنا وأنت أهمّ من طه حسين».

«دُعابة» أم استهتار

استفزّ الجواب الآف المتابعين من حول العالم العربي، لما يستبطنه من تعالٍ وادّعاء، فمن أيّ ناحية قارنَاهُما بصاحب «الأيّام» سيبدو هذا المشهد مدعياً. لم يقتصر الأمر على هذا، فبعد أن اشتعلت عاصفة التعليقات، كتب زيدان عبر حسابه على «فيسبوك» منشوراً اعتورته أخطاء في الإملاء، مُوضّحاً فيه أنّ الأمر مُجرّد دُعابة، ولم يكن يقصد أيّ مقارنة جدّية. حتى الإعلام المصري الذي حشد طاقاته لهذا المؤتمر، وَلَفّ لقاءً على عجَل بين الاثنين ليدفعا عنهما ما تورّطا به. سوى هذا «الحدث» الذي حوّل الثقافة والفكر إلى مجرّد «ترند» سطحي، والمفروض أن تكون الغاية «التكوينية» منه أبعد وأعمق، لم تبرح طُروحات المؤتمر حدود المُتوقّع لسجالات «التنوير» العربي، ووضع «التنوير» هُنا بين قوسين، إذ لا يُمكن أن يُعتمد هذا الاسم لمجموعة من مُقدّمي البرامج (نجوم الإعلام المكرّسون منذ انقلاب صيف 2013)، من شاكلة إبراهيم عيسى وإسلام البحيري إلى عمرو عبد الحميد، فقط لأنهم يرون أنفسهم كذلك.

الانتقادات أيضاً طاولت تمويل المؤسسة الوليدة، بحسب ما تداولته منشورات عديدة استشهد معظمها بتصريحات موارية للكاتبة فاطمة ناعوت تتهرّب من الإفصاح عن هوية الداعمين، كما لم يعلن عنه بشكل واضح على الموقع الإلكتروني للمؤسسة، حيث تتماثل الرؤية والأهداف مع مؤسسات ظهرت خلال العقد الماضي مدعومة من دولة الإمارات، وتركّز عملها على «تجديد الخطاب الديني بما يلائم مستجدّات العصر»، لكن بعضها تعطّل عملها أو تراجع نشاطها بعد أن أثارت الجدل والسجال حول تصريحات أو مواقف المنتمين إليها.

فنّ التعتيم على القضايا

ويُلاحظ أيضاً أن هذه المؤسسات التي أنشئت في عدد من المدن العربية لم تتمكّن من نشر خطابها وتجسير الفجوة بينها وبين الجمهور، بسبب إصرار كتّابها على أسلوب صادم ومستفزّ لهم. لكن الأهمّ من ذلك كلّه، يتعلّق بالإضاءة على قضايا محدّدة في مقدّمتها: معاداة حركات الإسلام السياسي، وتثبيت قراءات مُسيّسة للتراث الإسلامي تُحدث غالباً انقساماً حاداً عند المتلقين لها، وكذلك التعتيم على قضايا أخرى أكثر راهنية وأكثر إلحاحاً وترتبط بالعدالة الاجتماعية والديمقراطية والتحرر.

لا ينفي أحمد سعيد زايد، أحد كتّاب «تكوين»، في تصريحات تلفزيونية، أن المشاركين في المؤتمر ناقشوا قضايا بعينها تثير الجدل مشيراً إلى أن «حالة الركود الفكري في العالم العربي سخيفة»، وضرورة «طرح المسائل كلّها على الطاولة»، وانتقد تصريحات رجال دين تؤكّد أن «الأزهر» هو الجهة الوحيدة المخوّل لها تجديد الخطاب الديني، معتبراً أنها تعبّر عن «كهنوت من العصور الوسطى».

موقف المؤسسة الدينية الأكبر في مصر بدا متشكّكاً بتأسيس «تكوين» ومؤتمرها، حيث علّق عباس شومان الأمين العام لهيئة كبار العلماء في الأزهر، عبر صفحته الشخصية على «فيسبوك»، أول أمس الاثنين: «تُتابع الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء حقيقة ما ينشر عن تكوين كيان للنيل من ثوابت الدين وأخلاقيات وقيم الأمة».

> تنوير يعتّم على قضايا العدالة الاجتماعية والديمقراطية والتحرر
>
> تصريحات موارية تتهرّب من الإفصاح عن هوية الداعمين

لم نسمع أنّ هناك إبادة في الجوار

وكما هو متوقّع أيضاً فإنّ «مؤسسة تكوين» التي تُعرّف عن نفسها بشعار طويل عريض وبأنها «تعمل على تطوير خطاب التسامح وفتح آفاق الحوار والتحفيز على المراجعة النقدية، وإعادة النظر في النعرات التي حالت دون تحقيق المشروع النهضوي الذي انطلق منذ قرنين»، لم تجد في الإبادة الصهيونية المُرتكَبة في غزّة أي مُحفّز حتى تتناوله في الأوراق التي تضمّنها هذا المؤتمر التأسيسي، فكان من باب أولى على جهة تتّخذ من قضايا الفكرية مركزاً لاهتماماتها، أن تُسارع إلى انطلاقاً من موقع مُنحاز لحقّ شعب سُلبَت أرضه، ويتعرّض لإبادة جماعية مُستمرّة منذ أكثر من نصف عام. لكن طبعاً هذه القضايا بنأى ويتعالى «التنويري» العربي عليها، لأنها تشكّل واقعه، وهو يأنف من هذا الواقع ويتبرّأ منه، ويُؤثر عليه السلطة التي تُنكّل بمَن دونها.

مسألة لا يمكن تغييبها وتتّصل بادّعاء التسامح والحوار مع الآخر، لكن ذلك يسقط مع تقديم محتوى يستند إلى إقصاء وإلغاء وتحقير أي تيار أو فكر في الثقافة العربية يتعارض مع أفكار هذه «المؤسسات»، ومحاكمتها بأثر رجعي خلال ألف وأربعمئة سنة مضت في تجاهل تام لأية سياقات عامة حكمت حركة التاريخ، بينما يبالغ دعاتُها بالانفتاح على كلّ أتباع الديانات والعقائد والثقافات الأخرى والتأكيد على أهمية التعايش معهم.

وعند تصفّح الموقع الإلكتروني للمؤسسة، يتشكّك المرء بصحة الأهداف المنشودة مع تجميع مقالات ودراسات وفيديوهات يبرز تفاوت كبير في مستواها، حيث تغلب على معظمه سطحية القراءة وانتفاء أسس البحث العلمي والموضوعية، وما يجمعها هو عناوينها المستفزّة، مثل: «قصة مقتل عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب، والحسن بن علي»، و«نهايات الخلفاء الراشدين.. قصة مقتل عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق»، و«هل الخمر حلال شرعاً؟»، و«الفتوحات الإسلامية.. احتلال وغزو»، وغيرها.

للأسباب الآنفة وغيرها، يبدو أنّ المنجز الوحيد لـ«المؤتمر»، الذي بدأ بانتقاص قَدْر الشخصية التي كان ينوي تكريمها، وغمل على تعبئة كُتّاب وأساتذة جامعيّين من بُلدان عربية مختلفة، هو مروره وانقضائه سريعاً بلا أي أثر يُذكر.

انقضاء الغايات

عند تصفّح الموقع الالكتروني لمؤسسة «تكوين الفكر العربي»، يتشكّك المرء بصحّة الغاية المنشودة من وراء مقالات ودراسات تغلب على معظمها سطحية الطرح وانتفاؤها لأهم موضوعية. وعلى ذات الشاكلة من السطحية والاستخفاف جاء مؤتمر المؤسسة الذي عُقد أخيراً في القاهرة واستثر بتكريم طه حسين، ليبدو أنّ المنجز الوحيد للمؤتمر هو انقضاؤه سريعاً بلا أيّ أثر يُذكر (الصورة: من مدخل مدفن طه حسين بعد ان ابتلعه احد الجسور).

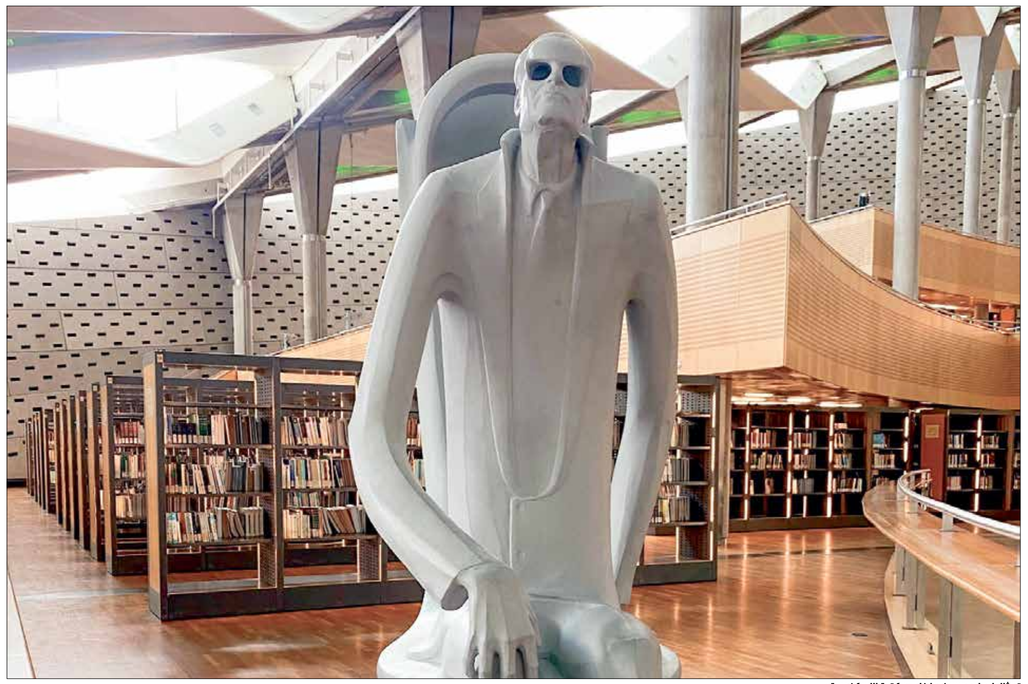

تمثال لـ طه حسين داخل «مكتبة الإسكندرية»

إطلالة

سؤالٌ استنكاري لجامعة كولومبيا

لافتة إدوارد سعيد والحراك الطلّابي

لفتتني صورة طالبة في نيويورك تحمل لافتة كُتب عليها: يا جامعة كولومبيا، لماذا تطلبين مني أن أقرأ لإدوارد سعيد إن كنت لا تودّين أن أستعمله؟

خالد البلاجي

تشهد الجامعات الأميركية، منذ أيام، احتجاجات طلّابية مكثّفة، للتنديد بحرب الإبادة في غزّة، والتعبير عن تضامنها مع الشعب الفلسطيني في ماساته التي طال أمدها. فمن شرق الولايات المتّحدة إلى غربها، يُنظّم الطلّاب مخيّمات جامعية شعبية في جوّ من الالتزام والجدّية مثير للانتباه، وذلك بالرغم من حملات التخويف والمضايقة المستمرّة. وتطالب هذه الحركات الطلّابية الجامعات بسحب الاستثمارات من المؤسّسات والشركات التي تدعم الاحتلال وتشارك، من قريب أو بعيد، في الحرب المدمّرة على غزّة.

وفي إطار متابعتي لهذه الحركة الطلابية الواسعة، لفتت انتباهي أخيراً صورة طالبة في نيويورك تحمل لافتة كُتب عليها هذا السؤال: «يا جامعة كولومبيا، لماذا تطلبين مني أن أقرأ للأستاذ إدوارد سعيد إن كنت لا تودّين أن أستعمله؟». ولعلّ هذا السؤال في حدّ ذاته يستحقّ وقفة تأمّلية، لكونه يختزل مجموعة من الدروس المهمّة في الظرفية الراهنة.

أوّلاً، إن كون السؤال موجّهاً مباشرةً للجامعة إشارةٌ واضحة إلى درجة الوعي السياسي والحسّ النقدي لدى الجيل الجديد من الطلّاب. فتطلّعات هذا الجيل وانتظاراته تتجاوز قاعات الدروس والمحاضرات، لتبحث عن تحقيق نوع من الانسجام بين التكوين الأكاديمي والانخراط في القضايا المجتمعية والسياسية، بما فيها القضية الفلسطينية. إذ إنّ سؤال اللافتة في الوقت نفسه استفهامٌ استنكاري حول المغزى البعيد للبرامج والمناهج الأكاديمية، ودعوة ضمنية إلى التفكير الجاد في واجبات الجامعات والمؤسّسات التعليمية تجاه طلّابها، ولا سيما في ما يتعلّق بتكريس مبادئ حرّية التعبير والتجمّع السلمي.

ثانياً، يُبيّن سؤال اللافتة، بوضوح، أنّ شخصية إدوارد سعيد وأعماله لا يزال لها تأثير كبير في الجامعات الأميركية، خصوصاً في ما يخصّ المسألة الفلسطينية، وهذا ليس بالأمر المفاجئ. ذلك أنّ سعيد لم يكن مجرّد أستاذ جامعي للنقد الأدبي والأدب المقارن في «جامعة كولومبيا»، واحدٍ مؤسّسي الدراسات ما بعد الكولونيالية، بل جسد، أكثر من أي شخص آخر، نوعاً من الاستمرارية البنيوية بين العمل الأكاديمي والالتزام السياسي من خلال موقعه المتميّز كمفكّر فلسطيني-أميركي ومثقّف شامل ومتعدّد المواهب.

ولعلّ دفاع سعيد المستميت عن القضية الفلسطينية ومجهوداته الكبيرة لتقريب الرأي العام الأميركي والغربي من هذه القضية وللتصدّي لخطاب الكراهية قد أتت الآن ثمارها بشكل لا يقبل الشكّ. فعلى سبيل المثال، في مقدّمة كتابه «مسألة فلسطين»، الصادر سنة 1979، يشير سعيد إلى أنّ هدفه وضع ما يسمّيه «التجربة الفلسطينية أمام أعين القارئ الأميركي وحثّه على التفاعل معها على المستويَين الفكري والسياسي».

ثالثاً، إنّ في مساءلة الطالبة لجامعتها من خلال اللافتة دعوة ضمنية إلى ضرورة تقليص الفجوة التي تفصل بين الجامعة والمجتمع، وبين النصوص النظرية والممارسة الفعلية. كيف للجامعات أن تواصل تدريس أعمال إدوارد سعيد دون أن تأخذ بالاعتبار العلاقة الوطيدة بين أفكاره والتحوّلات التاريخية؟ إلى أيّ حدّ يمكن للمقرّرات الجامعية أن تبقى بعيدة عن التطوّرات الميدانية ونبض الشارع؟ أما حان الوقت لتقريب الجامعة من محيطها المجتمعي وتسليط المزيد من الضوء على الأصوات الفلسطينية، بما في ذلك من خلال الكتابات والإسهامات الموجّهة للرأي العام؟ لا يقتصر الأمر هنا على الأعمال النقدية والدراسات السياسية، فالاهتمام المتزايد بالأدب والشعر الفلسطيني مثلاً، بما في ذلك في الولايات المتّحدة وأوروبا من خلال تسارع وتيرة الترجمة، يشير بدوره إلى ضرورة التفكير في الجامعة وتطوير المهارات النقدية والإبداعية للطلبة بشكل يساعدهم على فهم القضايا السياسية والتفاعل معها.

من جهة أخرى، إنّ مشاهد اعتقال العديد من الطلبة والأساتذة في إطار الحراك الذي تعرفه الجامعات الأميركية منذ أيام، تُعيد إلى الأذهان ما عاشه إدوارد سعيد من ضغوطات ومضايقات كان هدفها ربما التشويش على مساهماته الفكرية وإثارة الجدل حول أعماله. وقد تحدّث سعيد في مرّات عديدة عن هذا العنف الذي لحقه من جرّاء مواقفه الجريئة وثباته في نضاله الفكري والسياسي. أمّا اليوم، فإنّ الحضور الملحوظ لإسم إدوارد سعيد على اللافتات والشعارات التي يرفعها الطلّاب ليس مجرّد إشادة بإرثه الفكري أو تكريم رمزيّ عابر لإسهاماته، بل رسالة تذكيرية بمسؤولية الأساتذة الجامعيّين والمفكّرين والباحثين في نقل معرفة متجذّرة في الواقع السياسي وبناء أسس فكر نقدي ملمّ بالخلفية التاريخية والبعد الأخلاقي لقضايا العصر، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

> وضعُ التجربة الفلسطينية أمام أعين الطالب الأميركي

(كاتب وناقد مغربي مقيم في الولايات المتّحدة، وأستاذ في قسم الآداب بجامعة «شيكاغو»)

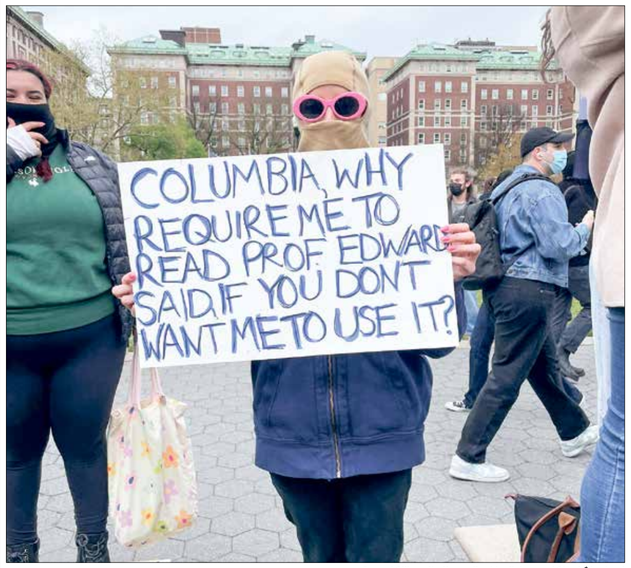

استفهامٌ استنكاري حول المغزى البعيد للمناهج الأكاديمية

إضاءة

تسعة قرون وعصره ما زال يشبه عصرنا

عمر الخيّام ودروبه الممتدة

976 سنة سيصير عمر صاحب «الرباعيات» هذا الشهر، المولود في نيسابور في 18 أيار/ مايو 1048. هنا نظرة عليه من داخل لغته

محمد علي إسلامي نُدوشَن

شعراؤنا لا يعرفهم إلا النُّخَب. فهم ليسوا مثل شكسبير الذي تُرجمت أعماله إلى جميع اللغات ويعرفه الناس. النُّخَب فقط هي التي تعرف شعراءنا في الخارج. صحيح أنّ «الشاهنامة» أو «المثنوي» أو أعمال سعدي الشيرازي قد تُرجمت إلى لغات عالمية، لكنّ القليل من الناس يعرفون عن الفردوسي والرومي وسعدي الشيرازي. الشعر الفارسي ليس من النوع الذي يمكنه أن يصنع لنفسه مكانة في العالم. العالم لا يعرف ناصر خسرو القبادياني، كما أنّ نظامي الكَنجوي غير معروف أيضاً. لكن عمر الخيّام استطاع أن يجد مكانة فريدة بفضل لغته والمفاهيم التي يستخدمها، وتفوّق على حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وغيرهما.

رباعيات الخيّام هي انعكاس للحياة. الخيّام كانت له تجربة الحياة. رأى الحروب الأهلية وقتْل الشباب وترمُّل النساء وتشريد كثير من الناس وتدمير الحياة وشيخوخة الشباب. كان عصر الخيّام، مثل كلّ العصور المشابهة، عصراً صعباً. كان هناك فقدان للأمن وحصارُ وجوع. الخيّام رأى هذه الأشياء بأمّ عينيه وشعر بها، وفي الوقت نفسه كان أيضاً مفكّراً وبقراً تاريخ الماضي. كان هناك كتابٌ مثل «الشاهنامة» وكانت جميع المعارف الأخرى في زمنه متاحة له، فقرأ وفكّر وكتب تأمّلاته في شكل رباعيات. ولم يختفِ الخيّام عبر الزمن لأنّه كان مقبولاً للطبيعة البشرية. فالطبيعة البشرية تتقبّل كلامه وتأخذه على محمل الجدّ. ومن هنا ذاع صيته على مدى تسعة قرون وقام آخرون بتقليد رباعياته.

عندما ننظر إلى حافظ الشيرازي، نرى أنّه تأثّر كثيراً بعمر الخيام. حافظ الشيرازي هو أفضل المؤيّدين لفكر الخيّام وقد أعطى نكهةً صوفيةً لكلام الخيّام وفكره، لكنّه استمر على نفس الفكر. الجميع قبلوا هذا الفكر، وبالطبع كانت فئة المتعصّبين كثيفة وكبيرة، لكن عندما وصلت شرارة هذا الفكر إلى أعتقاد الناس قبلوا وجهة نظر الخيّام.

> أعطى حافظ الشيرازي نكهة صوفية لكلام الخيّام لكنّه احتفظ بفكره

لغة رباعيات الخيّام جيّدة جدّاً. إذا لم تكن اللغة جيّدة، فلن تتمكّن الأفكار من الانتشار. لغة رباعيات الخيّام شفّافة يمكن تسميتها بـ«الكلمات المقطّرة»؛ أي أنها تُقطّرُ قطرات الماء التي تسطع أمام الشمس. اللغة ممتازة في الرباعيات ولا يمكن أن تولد فكرة عظيمة من دون تعبير جيّد. الخيّام كان عالماً. وطبعاً ليس من الضروري أن يدخل العالِمُ عالَمَ الشعر. أمّا الآخرون، الذين أصبحوا شعراء، فلم يكونوا علماء رياضيات أو علماء فلك؛ لذلك نحن لا نعرف حقّاً إذا كان الخيام أراد أن يصبح شاعراً عظيماً، وهل كان يستطيع أم لا؟ أفضل استخدام لموهبة الخيّام في اللغة الفارسية كان من خلال هذه الرباعيات القليلة، وخير من سار على درب الخيّام هو حافظ الشيرازي. ولا أعرف أحداً غير حافظ الشيرازي يمكن أن تُنسب إليه قيمة هذا النوع من التفكير الخيّامي.

ربّما كان هناك من فكّر بهذه الطريقة الخيّامية وكتب هذا النوع من الرباعيات، لكنّه مزج كلامه برباعيّات الخيّام، وهو ربما ما أثر سلباً على عظمة الخيّام.

(شاعرٌ ومترجم وناقد إيراني (1924 - 2022). من أعماله: «الخطيئة» (شعر)، و«قصّة وخرافة» (مجموعة قصصية)، و«صفير العنقاء» (أدب الرحلة)، و«الأصوات والإشارات» (مجموعة مقالات). ترجمة عن الفارسية: حمزة كوتي)

من أمام مرقد عمر الخيام في نيسابور شرقي إيران. من تصميم المعمار هوشنك سيحون، 2011

فعاليات

تنطلق، اليوم، في الرباط، فعاليات الدورة 29 من **المعرض الدولي للنشر والكتاب**، وتستمرّ حتى 19 الجاري. يشارك في التظاهرة 743 عارضاً من 48 بلداً، ويُقام في إطارها برنامجٌ ثقافي يضمّ قرابة عشرين ندوة. تحلّ «يونيسكو» ضيف شرف على الدورة التي تحتفي بالكاتب المغربي الراحل **إدمون عمران المالح** (الصورة).

الكيان المنبوذ: لماذا يخشى العزل؟ عنوان محاضرة يقدّمها الأكاديمي الكويتي **علي السند**، عند السابعة والنصف من مساء الثلاثاء، 21 أيار/ مايو الجاري، في «مكتبة تكوين» بالكويت العاصمة. تندرج المحاضرة ضمن سلسلة ندوات حول القضية الفلسطينية بعنوان «سقط القناع عن القناع»، تُقيمها المكتبة بالتعاون مع «حملة مقاطعة إسرائيل» منذ بدء العدوان على غزّة.

تحتضن «دار النمر» في بيروت، عند السابعة من مساء غدٍ الخميس، حفل إطلاق مجموعة غنائية جديدة للموسيقيّ اللبناني **احمد قعبور** (الصورة) بعنوان **ما عندي مينا**. يتضمّن الحفل اداء اغنيات جديدة وعرض اغنيات مصوّرة، إضافةً إلى جلسة حوارية حول الإصدار الجديد الذي يتضمّن ثماني اغانٍ بصوت قعبور.

تحتضن «مدينة الثقافة» في تونس العاصمة، ابتداءً من اليوم وعلى مدار ثلاثة أيام، ندوةً بعنوان **نحو تفكّر فلسفي عربي جديد**، بتنظيم من «مؤسّسة الفكر العربي» و«معهد تونس للفلسفة». تتضمّن الندوة اربع جلسات نقاشية، إضافةً إلى محاضرة افتتاحية وأُخرى ختامية، وتشهد إطلاق كتاب بعنوان «العرب والحراك الفلسفي اليوم».